

ما قول علمائنا ؟

الوحدة الإسلامية

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر

العصمة صفة خاصة بهم ويعتقدون العصمة في الأئمة من أهل البيت أيضاً ، ولكنهم لا يقولون بأنهم أنبياء أو رسل . وقد تكلف الأستاذ الزنجاني إزالة الفرق بين أهل السنة والشيعة في هذا الاعتقاد ، فقال ما مؤداه إن عصمة النبيين تختلف عن عصمة الأئمة عند الشيعة ، وأنها في الأئمة معناها المدل والثقة ، ونحن إذا وثقنا من رجل في علمه ودينه وعمله استبعدنا أن يقع منه خطأ أو مالت نفوسنا إلى استبعاد وقوع هذا الخطأ منه ؛ أما عصمة الأنبياء فلها معناها الحقيقي ، فهم معصومون عن كل خطأ ، والفرق ظاهر في التقديرين وفي الحكمين . وإنى أرى أنه لو كان هذا هو المراد من عصمة الأئمة لما كان هناك معنى في تسميتها عصمة ، ولكان شأن الناس فيها كشأن الأئمة من أهل البيت وهو ما لا يقول به الشيعة

وكذلك الخلاف بين أهل السنة والشيعة في خلافة الشيخين «أبي بكر وعمر» خلاف حقيقى ، وله قيمته عند الفريقين ويضاف إلى هذا وذاك أن الشيعة في أصول الاعتقاد يتفقون في كثير منها مع أئمة المعتزلة ، ويخالفون أهل السنة ، كسألة نقي الصفات وغيرها من مسائل علم الكلام ، وهذه كلها خلافات يصعب إزالتها ، فلا يصح أن نطعم في بناء الوحدة الإسلامية على محوها وإنما الواجب في ذلك أن تقبل هذه الخلافات في ديننا ، وأن تتسع لها صدورها ، وأن نجعل الخلاف في مثل هذه الأصول مثل الخلاف الذى قبله في الفروع ، فإذا قال الشيعة بعصمة الأئمة فلهم في هذا رأيهم ، ماداموا يقولون إنهم أئمة معصومون ، وليسوا بأنبياء ولا رسل ؛ وإذا قال الشيعة إن علياً رضى الله عنه كان أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وأنكروا خلافتهم فلهم في هذا أيضاً رأيهم ، ولنا رأينا في أن خلافتهم خلافة صحيحة

وليم الجدال في هذا وأسأله بين الطوائف الإسلامية على الاقتناع بالحجة العقلية أو العقلية ، ولنبعد فيه عن التعصب للرأى ، والطمع في الدين والمقيدة ، والرعى بالحلاد والكفر ، ولنجعل الخلاف في الرأى أداة تواصل وتعارف ، لا أداة تقاطع وتجاهل ، ولیم الخلاف بيننا على أنه خلاف بين أئمة في الدين ، تجمعهما كلمة الإسلام ، وتظهرهما راية التوحيد ، وقد اعتاز الإسلام على غيره من الأديان بما سنه من سنة الخلاف

سمت المحاضرة التي ألقاها بدار جمعية الشبان المسلمين صاحب الساحة الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير مجتهدى الشيعة ورئيس مجلسهم الأعلى ، وكانت المحاضرة في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ، قرأت فيه مالمالك كبيراً ، وإماماً مصلحاً ، بندر وجود مثله بين علماء المسلمين في هذا العصر . ولا غرو أن تنجب بلاد إيران مثله ، فقد أجيبت قبله في هذا العصر ذلك الحكيم العظيم ، «جمال الدين الأفغانى» موقظ المسلمين من غفلتهم ، وباعث الدعوة الإصلاحية القائمة الآن فيهم ؛ وكان الله أنى بالأستاذ الزنجاني ليكمل ما بناه قبله الحكيم الأفغانى ، فليس الأستاذ في سبيله ، ولينصج على منواله ، فالطريق ممهدة والنهاية مرجوة ، والأمل كبير في النجاح بمون الله تعالى

ولكن كيف تم الوحدة الإسلامية التي يدعو الأستاذ الزنجاني إليها ؟ وما هو الطريق الموصل إليها حقيقة لا خيالاً ؟ هنا أخالف الأستاذ الزنجاني فيما يراه من قيام هذه الوحدة على إزالة الفوارق بين الطوائف الإسلامية في الأصول الدينية على الأقل ، وتقريب شقة الخلاف بين هذه الطوائف حتى تنحصر في الفروع وحدها

فانى أرى أن هذا طريق شائك لا يوصلنا إلى الناية المطلوبة من هذه الوحدة ، لأن هناك خلافات حقيقية وكبيرة بين هذه الطوائف ، ولا يمكن التقريب بينها فيها ولو بذلنا في ذلك ما بذلنا ؛ فلا بد من طريق آخر يوصلنا إلى هذه الوحدة غير هذا الطريق ويقوم فيه بناؤها مع قيام هذه الفروق ، وبقاء تلك الخلافات في الأصول والفروع

فالخلاف بين أهل السنة والشيعة في عصمة الأئمة خلاف حقيقى ، وهو خلاف في أصل من أصول الاعتقاد لا في حكم من الأحكام الفرعية ؛ وأهل السنة يرون أن العصمة صفة خاصة بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، أما الشيعة فلا يرون

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

مدير مصلحة الكيبيا

— ٣ —

إن العلم يجب أن يكون حراً طليقاً يبحث في العالم المجهول حيث شاء وأين وقع . هكذا تقول أنت ، وهكذا كنت أقول ياسيدي ، ومن أجل جهري بهذا الرأي وإعلاني إياه بصوت غير خافت ساء ما بيني وبين قوم ذوى نباهة وسلطان . كلانا غطىء . ياساحبي في زعمه ! وشاهدنا إسميث الذي نحن بصدده . بدأ عمله مستمتعاً بحرية لا تزيد إلا قليلاً على حرية كاتب حكومي صغير ، ووجب عليه ألا يبحث إلا في أشياء عليها عليه الدكتور سلمون ، وهذا بدوره إنما استخدم ليوجه إسميث إلى حل بعضلات أعجزت المزارعين وأرباب المواشي . فالثلاثة جميعهم — سلمون وكليورن وإسميث ، وكذلك اسكندر ، وليس بنا عنه غنى — كل هؤلاء دفعت السلطات إليهم أجورهم كما تدفعها إلى فرقة المظافي ، وانتظرت منهم مثل التي تنتظره من فرقة المظافي : أن ينهضوا كرجال الحريق كلما اشتعلت عدوى المرض في الخنازير والسجول والثيران والخرفان فيوجهوا إليها خراطيمهم فيندفع منها العلم اندفاعاً حتى تنطفئ فيعود البرء والسلام إليها . وكان أصحاب الماشية في هذا الوقت قلقين قلقاً شديداً من جراء مرض غريب يُدعى بمحمى تكساس^(١)

كانت الأقطار الجنوبية تستورد أبقاراً من الشمال ، فتساق هذه الأبقار السليمة من القطر الحديدي إلى المراعي فتصاب فيها فتختلط بأبقار الجنوب وهي جد سليمة ، فيمضي الشهر أو الشهران على خير ، ثم فجأة تظهر الواقعة الخبيثة في هذه الأبقار الشمالية الجيلة فلا تلبث أن تموت الطام ، ويصحبها الهزال فتفقد في اليوم الواحد أربالاً من وزنها ، ويمجى بولها أحمر

(١) تكساس ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية في أقصى جنوبها

في الرأي ، فقال الله تعالى في سورة هود (ولو شاء ربك لجلد الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وجلد الرسول صلى الله عليه وسلم للجهنم إذا أخطأ أجراً واحداً ، فإذا أصاب فله أجران ، ولم يفرق في هذا بين أصول وفروع ، بل أطلق الأمر إطلاقاً ، وفتح باب الاجتهاد في الأصول والفروع معاً

وهذا هو الأساس الصحيح الذي لا يمكن أن تقوم على غيره تلك الوحدة المطلوبة ، أما ذلك الأساس الذي يراد بناؤها عليه فلا يمكن تحقيقه أبداً ، لأن الخلاف في الرأي سنة طبيعية في الإنسان ، وعلى هذا مضى أمره منذ الخليفة ، وسيمكث عليه إلى ما يشاء الله تعالى

ولا بد أن أشير في هذه الكلمة إلى أنه لا بد في تحقيق تلك الوحدة من قبر ذلك الماضي القائم على التدابر والتقاطع ، ولا يمكن قبر هذا الماضي إلا بقبر هذه الكتب المتدايرة المتقاطعة ، وهي الكتب التي يدرسها أهل السنة في الجامع الأزهر بمصر ، والكتب التي يدرسها الشيعة في معهد النجف الأعلى بالعراق ؛ وقد أخذت النفوس في الأزهر هذه السنة تحن إليها ، وتعمل على إعادة كثير منها ، وتعد محاضراتها اللفظية الساقطة ، وتنسى ما جلبت من الشقاء على الإسلام والمسلمين ، وأنه بينما كانت كل قوانا الفكرية مصروفة إلى ألفاظها ، كانت قوى غيرنا مصروفة إلى حقائق الأشياء ومعانيها ، فنجحوا في علومهم دوننا ، وتقدموا وتقهقروا ، ولم تنفعنا هذه المحاضرات اللفظية التي برعنا فيها . ولا بد أن أشير أيضاً إلى أنه لا يمكن في تحقيق تلك الوحدة أن يزور الأستاذ الزنجاني الأزهر والكتليات التابعة له ، ثم نبادله في معهد النجف الأعلى زيارة زيارة ، بل لا بد من الاعتراف في الأزهر بفقهاء الشيعة ودراسته فيه كما يدرس فقهاء أهل السنة ، ويكون هذا بنديب أستاذ لدراسته في الأزهر من أساتذة معهد النجف الأعلى ، كما يجب أن يعترف الشيعة بفقهاء أهل السنة ، ويدرسوه في معهدهم كما يدرس فقهم في أزهرنا ، ويكون هذا بنديب أستاذ من أساتذة الأزهر لدراسة فقهمنا عندهم ، فيتم بهذا التعارف بيننا وتزول تلك الجفوة المعقودة ، وتنحى تلك الوحدة المطلوبة